تجارة الرقيق بين المماليك والأوروبيين في مؤلفات عزيز سوريال عطية – دراسة تاريخية نقدية

الكلمات المفتاحية: الرقيق، المماليك، عطية

البحث مستل من رسالة ماجستير

دعاء رافع عبد **١٠د٠عبدالخالق خميس علي**

مديرية تربية بغداد/الرصافة الأولى **جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية**

douaaabed@gmail.com abd_ulkhaliq2000@yahoo.com

الملخص

تناولنا في بحثنا الموسوم بـ (تجارة الرقيق بين المماليك والأوروبيين في مؤلفات عزيز سوريال عطية – دراسة تاريخية نقدية) معنى الرقيق لغة واصطلاحاً، وكيف استطاعت الدولة المملوكية القيام على أكتاف هؤلاء الرقيق المجلوبون من أماكن وجنسيات مختلفة، وعن دور تجار أوروبا في نقلهم إلى مصر. ولأهمية هذا الموضوع وآثاره المتعلقة في حياة المجتمع والدولة المملوكية وما رافق ذلك من أحداث تاريخية مهمة. فقد كتب عزيز سوريال عطية عنه مُبيناً نشأة الدولة المملوكية من هؤلاء الرقيق، والتجارة الشائنة التي كانت تتم بين السلاطين المماليك والتجار الأوروبيين لنقلهم إلى مصر التي كانت بحاجة مستمرة لهم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. تعد تجارة الرقيق احدى أهم التجارات التي سادت بشكل كبير في العصر المملوكي، وقد كان لطبيعة الدولة المملوكية اثراً بالغاً في تشجيع مثل هكذا تجارة؛ إذ اعتمد المماليك على شراء الرقيق في تكوين قوتهم الخاصة بهم لمواجهة منافسيهم واعدائهم.

وقد تناول عطية في مؤلفاته تجارة الرقيق بين المماليك والأوروبيين وأولى هذا الموضوع أهمية كبيرة، متحدثاً عن بداية نشأة الدولة المملوكية على أكتاف هؤلاء الرقيق المجلوبون من أماكن مختلفة، ثم عن دور التجار الأوروبيين في جلبهم إلى مصر مقابل أموال يستحصلونها من السلاطين المماليك.

جاء تقسيم البحث على مقدمة وقسمين وخاتمة، تناول الاول: سيرة عزيز سوريال عطية ، أما الثاني فتناول تجارة الرقيق بين المماليك والأوروبيين وطرق جلبهم والأماكن المجلوبون منها ودور تجار أوروبا في جلبهم إلى مصر.

اولاً : سيرة عزيز سوريال عطية

ولد عزيز سوريال عطية بقرية العايشة[١] في محافظة الغربية[٢] يوم الثلاثاء الخامس من تموز عام ١٨٩٨م، من أسرة قبطية[٣] متوسطة الحال يعمل عائلها في تجارة القطن[٤].

وفي عام ١٩٠٥م التحق بالتعليم الإبتدائي وحصل على الشهادة الإبتدائية عام ١٩٠٩م[٥] [٦].

وحصل على شهادة البكالوريا- القسم العلمي من المدرسة التوفيقية[٧] بالقاهرة عام ١٩١٤م[٨].

وفي عام ١٩٣١م حصل على بكالوريوس الآداب من جامعة ليفربول بمرتبة الشرف الأولى. وحصل من الجامعة نفسها عام ١٩٣٣م على درجة الماجستير في الآداب عن رسالته (الحروب الصليبية في نيقوبوليس) [٩] .

وحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة لندن عن اطروحته (الحروب الصليبية في العصور الوسطى المتأخرة)، عام ١٩٣٨م، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة ليفربول[١٠] وهي أعلى درجة علمية تمنح لعالم في إنجلترا. ولتفوقه ونبوغه عمل أستاذاً في جامعة ليفربول، وأستاذاً في جامعة لندن[١١]. ودعته جامعة بون بألمانيا كمحاضر[١٢] في الثلاثينيات من القرن العشرين قبل عودته الى أرض وطنه[١٣].

ثانياً: تجارة المماليك بين والاوروبيين:

الرقيق لغة: من الرق وهو الشيئ الرقيق، وهو نقيض الغليظ والثخين[١٤].

الرقيق اصطلاحاً: وهم العبيد، وسمّي العبيد رقيقاً لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون[١٥].

والرقيق هو العبد المملوك ويطلق على المفرد والجمع، ويقال للرقيق الذكر عبد[١٦]، وللأُنثى أَمَة[١٧].

ذكـر الباحـث عطيـة "بـأن نظـرة واحـدة سـريعة الـى نشـأة دولـة المماليـك([٦٤٨-٩٢٣هـ]/١٢٥٠-١٥١٧م) وتكوينها ونظامها توضح لنا الأهمية غير العادية للتجارة في بني الإنسان"[١٨]. وبداية علينا ان نوضح موقف الدين الاسلامي من هذه التجارة التي تحدث عنها عطية لكون دولة المماليك دولة اسلامية تدين بالاسلام كدين رسمي لها. فقبل مجيئ الاسلام كان الرق نظاماً عالمياً معترفاً به في جميع دول العالم وشعوبها، بل كان عملة اقتصادية مهمة وضرورة اجتماعية متداولة لا يستنكرها انسان ولا يفكر في امكان تغييرها أحد. وعندما جاء الإسلام جفف منابع الرق القديمة كلها فيما عدا منبعاً واحداً وهو منبع استرقاق الأسرى في حرب شرعية اذا رأى خليفة المسلمين مصلحة في هذا الاسترقاق[١٩]. وبذلك نصل الى نتيجة محتمة بأن هؤلاء المماليك ليسوا بعبيد وأن بيعهم باطلاً فقد كانوا جميعاً صفقات غير مشروعة، فكان الأب يبيع ابنه ليدفعه الى المجد في القصور وكان الأقوياء والنخاسون يخطفون الأطفال ويبيعونهم والإسلام يرفض هاتين الوسيلتين، ولا يجيئ الرق في الاسلام الا عن طريق الحرب الشرعية[٢٠] كما ذكر في أعلاه .

لما قامت الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١١٧-١٢٥٠م) عمل سلاطينها على جلب الأتراك اليها، وبذلوا الأموال الضخمة في شرائهم بغية الاعتزاز بقوتهم . وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) أكثر السلاطين استجلاباً لهم[٢١] حتى أضحى معظم جيشه منهم واعتنى بتربيتهم تربية خاصة ثم جعلهم بطانته وحرسه الخاص وبنى لهم قلعة في جزيرة الروضة[٢٢] عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م فعرفوا بالمماليك البحرية او الصالحية[٢٣]. وبذلك نتأكد مما أورده عطية عن التجارة غير العادية في بني الانسان وعن قيام دولة المماليك على أكتاف هؤلاء الرقيق الذين جلبوا في عصر الدولة الأيوبية. كما يعطينا نبذة يسيرة عن كيفية قيام الدولة المملوكية وذلك ليوضح كيف قامت على الرقيق المجلوبون من دول مختلفة وكيف شارك التجار الأوروبيون بجلبهم الى مصر.

وأكمل عطية قائلاً: "وترجع دولة المماليك إلى مملوك[٢٤] كان حارساً لأسرة الأيوبيين وقد انتهى الأمر إلى ان استولى المماليك على السلطة وحكموا مصر وسوريا كحامية أجنبية وكان عددهم يزداد بشراء رقيق جدد"[٢٥]. وقد كان عطية على صواب في ما ذكره، ويؤيد رأيه ما جاء من نصوص في المصادر العربية. فبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب وقواته تقاتل الصليبيين، أخفت زوجته المملوكة (شجر الدر) خبر وفاته وأدارت شؤون البلاد بإسمه،

واستدعت ولده تورانشاه ليتولى الأمر فجاء وبايعوه وسلموه مُلك أبيه[٢٦] وانتصر على الصليبيين بمساعدة المماليك عام ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م[٢٧]، بعد ذلك قُتل الملك تورانشاه على أيدي المماليك[٢٨] وجلست شجر الدر على عرش السلطنة المملوكية[٢٩].

أثار تولي شجر الدر للسلطنة اعتراض الخلافة العباسية في بغداد، فتزوجت كبير المماليك عز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠ -١٢٥٧م) أحد المماليك الصالحية، تولى عرش مصر بعد تنازل شجر الدر عن الحكم وتلقب بـ "المعز أيبك"[٣٠] وباعتلائه عرش السلطنة قامت دولة المماليك البحرية[٣١].

وأضاف عطية: "كانت تجارة الرقيق الأكثر ربحاً ورواجاً للغربيين وأكثر ما كانوا يبحثون عنه في الشرق"[٣٢]. وإذا أمعنّا النظر فيما ذكره لوجدناه صائباً في ذلك. فقد تعامل التجار الأوروبيون في كل ما يمكن أن يدر عليهم أرباحاً طائلة، فبالرغم من عدم استحسان الرأي العام وكذلك الكنيسة الأوروبية لهذه التجارة؛ فإن مدينتي البندقية وجنوة قامتا بشراء الرقيق من روسيا ودولاً أخرى في الشرق ومن ثم شحنهم الى اسبانيا او البلاد الإسلامية[٣٣].

وكانت هذه التجارة (الرقيق الأبيض والأسود) تلقى رواجاً في شرق البحر المتوسط ولا سيما في عصر دولتي السلاطين المماليك[٣٤] (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، وتصل للقاهرة[٣٥] من أسواق آسيا الصغرى وأوروبا وافريقيا[٣٦]. وقد لجأ المماليك الى شراء الرقيق الأبيض رغبة في الإكثار من مماليكهم حتى يكونوا لهم سنداً يعتمدون عليه[٣٧]. وخير دليل على ذلك ما ذكره المقريزي عن اقبال السلاطين المماليك على شراء الرقيق وتشجيعهم للتجار على جلبهم الى مصر، فذكر عن السلطان الناصر محمد[٣٨] (٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م) (٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٨م) (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤١م) أنه أكثر: " من جلب المماليك والجواري وطلب التجار إليه وبذل لهم المال، ووصف لهم حلي المماليك والجواري وسَيَّرهم الى بلاد أزبك[٣٩] وتوريز[٤٠] والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد، فكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم"[٤١].

كما أشار العيني (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) في حوادث عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م ان السلاطين المماليك جلبوا المماليك من أجل أُبهة التملك وأغدقوا الأموال على التجار لذلك السبب فذكر عن السلطان الناصر محمد انه: "اهتم...في استجلاب المماليك الترك والتتار قصداً في

الاستظهار وبذل الأموال لمن يحضرهم من التجار في المفاوز والبحار ورغبهم بالمسامحات تحقيق الإيراد والإصدار فجلبوا إليه منهم العدد الكبير والجم الغفير"[٤٢].

وأردف عطية قائلاً: "كان لكل أمير من المماليك حاشيته الخاصة حسبما تسمح ماليته"[٤٣][٤٤]. فحراس السلطان قلاوون[٤٥] [٦٧٨-٦٨٩هـ]/١٢٧٩-١٢٩٠م) وصلوا الى ستة آلاف وسبعمائة مملوك، وزاد إبنه الأول الأشرف خليل[٤٦] [٦٨٩-٦٩٣هـ]/١٢٩٠-١٢٩٣م)من تراثه الى عشرة آلاف مملوك[٤٧].

ما ذكره عطية أورده المقريزي بقوله: "وبلغت عدة المماليك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاوون ستة آلاف وسبعمائة ، فأراد ابنه الأشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك"[٤٨].

أما مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون فذكر عطية أنهم "بلغوا أربعة وعشرون الف مملوك"[٤٩] ، واعتمد في ذلك على ما أورده المقريزي بقوله: "...والذي استقر عليه الحال في اقطاعات الديار المصرية مما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاوون في الروك الناصري، وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية أربعة وعشرون ألف فارس ..." [٥٠]. اما العيني فذكر أن عدد مماليكه بلغ ستة آلاف مملوك فقال:"... حتى انه اقتنى منهم عدة لم يسبقه الى مثلها أحد من أشكاله فكانت زهاء ستة آلاف اشتراهم بماله ورباهم تربية الأولاد ..." [٥١]. والحقيقة أن المقريزي أراد من هذا الرقم جميع جيوش السلطنة ووزع هذا الرقم على مماليك: أمراء الألوف[٥٢] وأمراء طبلخاناه[٥٣]، وكشاف[٥٤]، وولاة بالأقاليم، وأجناد الحلقة[٥٥] والمماليك الخاصة بالسلطان وغير ذلك من تقسيمات الجيش المملوكي، اما العيني فقد قصد مماليك السلطان فقط دون ذكر بقية قطاعات الجيش.

وذكر عطية انه "طوعاً لبعض الظروف كان عدد مماليك السلطان يتناقص الى أربعة آلاف مملوك كما حدث في عهد برقوق[٥٦] [٧٨٤-٨٠١هـ]/ ١٣٨٢- ١٣٩٨م)" [٥٧]. وحول هذا ذكر المقريزي مماليك السلطان برقوق بقوله: "وأنشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم أربعة آلاف او تزيد قليلا"[٥٨] ، اما ابن تغري بردي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩) فذكر ذلك قائلاً: "وبلغت عدة مماليكه المشتروات خمسة آلاف مملوك"[٥٩].ولا يوجد اختلاف كبير بالرقم ويبدو ان عطية قد اعتمد على ما رواه المقريزي. وقد أراد من ايراده لهذه الأعداد من المماليك السلطانية ان يُظهر عمليات الشراء الكبيرة التي قام بها السلاطين المماليك.

وذكر أيضاً: "وكانت هذه المماليك تقسم عادة الى فرق"[٦٠] عديدة، ويؤكد ذلك ما أورده المقريزي بقوله: "اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ونزله في طبقات جنسه"[٦١] . فمنذ اللحظة الأولى التي يتم فيها شراء السلطان للملوك بعد أن يعرض عليه كان يرسله مباشرة إلى الثكنات الخاصة لسكنى وتربية المماليك السلطانية بالقلعة والتي كانت تعرف بالطباق وكانت كل طابقة من هذه الطباق مخصصة لجنس من أجناس المماليك[٦٢].

وأَولى السلاطين المماليك هذه الطباق أهمية كبيرة وحرصوا على مماليكهم أشد الحرص فذكر المقريزي عن السلطان قلاوون قائلاً: "وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية حتى ان الملك المنصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته الى الرحبة[٦٣] عند استحقاق حضور الطعام ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم في جودته ورداءته..." [٦٤]. كما كان الناصر محمد بن قلاوون يهتم بطعامهم ومعيشتهم بنفسه وكان يقول معتزاً بذلك: "كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال ورجال وعقار وأنا عمَّرت أسواراً وبنيت حصوناً لي ولأولادي وللمسلمين"[٦٥]. وكان هؤلاء المماليك يقيمون اقامة دائمة بهذه الطباق ولا يخرجون منها ابداً ولما جاء الأشرف خليل بن قلاوون سمح لهم أن ينزلوا منها نهاراً بشرط أن يعودوا للمبيت بها، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم النزول الى الحمام يوما واحدا من كل اسبوع فكانوا ينزلون بالتناوب مع الخدم ويعودون للطباق آخر النهار[٦٦]. وأورد عطية الأُمم التي ينتمي إليها المماليك المجلوبون إلى مصر وقد استطاع أن يُلم بكل هذه الأمم وقمنا بدورنا بتأكيد ما قاله من المصادر العربية فذكر: "وكانت فرق المماليك تمثل أمماً متعددة مثل الترك والتركمان"[٦٧] "وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك ولا نظير لرقيق الترك في جميع رقيق الأرض"[٦٨]. ويُجلب هؤلاء من بلاد ما وراء النهر من مدينة فرغانة[٦٩] وسمرقند[٧٠] ومن بلاد الخزر[٧١] على وجه الخصوص. "والمنغوليين والشراكسة الكرد"[٧٢] ؛ وهم جنس من الترك والروس يجلبون من آسيا الصغرى[٧٣] ومن بلاد خوارزم[٧٤]، عن طريق السبي ثم البيع. واستكثر السلطان قلاوون من شراء المماليك الشركسية وكذلك أولاده وأولادهم وأدخلوهم في الخدمة الخاصة ووصلوا الى مناصب عليا في السلطنة، الى أن صار لهم الأمر وحكموا البلاد المصرية، وتولى منهم السلطنة اثنان وعشرون ملكاً[٧٥].

وأكمل عطية في ذكر الأمم التي يُجلب منها المماليك: "والأرمن، واليونانيين والسلاف[٧٦] والسلفونيين[٧٧]، والألبانيين[٧٨] "[٧٩]، ويجلب هؤلاء من أوروبا: "ومنها يرد الرقيق من بلاد

الصقالبة"[٨٠]. وكانت كل هذه الفئات من الرقيق من (الجواري والغلمان) تُجلب إلى مصر[٨١]، وأورد السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) أن: "بمصر من أصناف الرقيق ما ليس ببلد من البلدان"[٨٢].وكانت جميع هذه الأصناف تُحمل عن طريق تُجار الرقيق ولا سيَّما الأوروبيون منهم من البلدان التي تم ذكرها سالفاً كما سيتم توضيح ذلك مفصلاً في الصفحات القادمة[٨٣].

وذكر عطية "المصريين"[٨٤] كفرقة من فرق الرقيق، ويبدو انه قصد من ذلك فرقة المغاربة التي كانت من ضمن فرق الجيش المصري وتضم العناصر العربية فقط من مصريين ومغاربة وكان مصطلح المغاربة شائعاً منذ عصر الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) إذ كان لهم دور كبير في البلاط العباسي.

وانتسب هؤلاء المماليك غالباً إلى أساتذتهم الذين اشتروهم من التجار أو انتقلوا إليهم بطريقة أو بأخرى[٨٥]، فالأشرفية خليل نسبة إلى السلطان الأشرف خليل، والأشرفية برسباي نسبة إلى السلطان الأشرف برسباي[٨٦] (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) وهكذا. وربما انتسب المملوك إلى تاجره الذي جلبه ولصقت به هذه التسمية طوال حياته، مثل يلبغا السالمي[٨٧] نسبة الى "سالم تاجره الذي جلبه"[٨٨]. وفي بعض الأحيان قد ينتسب المملوك الى قيمته التي اشتري بها ان كانت مبلغاً ضخماً يستدعي التباهي مثل قلاوون إذ "كان مملوك الأمير آقسنقر[٨٩] اشتراه بألف دينار فعرف بالألفي"[٩٠].

وذكر عطية "ان الموت كان يطيح بنسبة عالية من المماليك لا لأنهم كانوا يتساقطون في ميدان القتال فحسب، ولكن لكثرة المذابح الجماعية التي كانت تتم إذا حدث الشك في ولائهم"[٩١]. وقد أصاب فيما ذكره، فقد وردت أمثلة في كتب التاريخ الإسلامي حول ذلك، ومنها ما أورده إبن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) في حوادث عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م عن السلطان الظاهر برقوق بقوله: "ثم تتبع السلطان المماليك الأشرفية فشردهم قتلًا ونفياً الى ان شفع الشيخ خلف[٩٢] في الباقين فقطعت امرتهم وتركوا بطالين"[٩٣]، وذكر المقريزي انه كان بالقاهرة بجوار باب زويلة[٩٤] خزانة تسمى بخزانة شمائل وهي سجن كان السلطان يضع فيه من يريد اهلاكه من المماليك أو أصحاب الجرائم العظيمة: "وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظراً..." [٩٥].

كما ذكر عطية: "أن المماليك كانوا يدينون بالإسلام دين الدولة الرسمي ورغم ذلك فإنهم لم يتورعوا عن عمل أي شيئ ، وكل ما كانوا يظهرون من الإسلام كان مجرد الشعائر الدينية

البسيطة"[٩٦]. وقد كان عطية دقيقاً في النص المذكور. فكان المماليك يتعلمون القرآن الكريم والفقه الإسلامي وتتم تنشئتهم في الغالب تنشئة إسلامية "وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار"[٩٧] ويُعلَّمون أن التحلي بالأخلاق الإسلامية يكسبهم ثقة العامة، فكان بعضهم يتظاهرون بالصلاح والتقوى[٩٨] ويقدمون على بناء المساجد والتكايا[٩٩] والمدارس. ويزاول البعض الآخر منهم أنواعاً من الفسق والفجور؛ فمثلاً كان السلطان المظفر حاجي[١٠٠] بن الناصر محمد بن قلاوون(٧٤٧-٧٤٨هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م) كثير اللهو، مُحباً للنساء وشرب الخمر، مُسرفاً على نفسه، قتل في مدة سلطنته خلائق كثيرة من الأمراء وغيرهم[١٠١]. وذكرهُ ابن تغري بردي وإخوته بقوله: "وبالجملة هو أسوأ سيرة من جميع إخوته ممّن تسلطن قبله من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، على أن الجميع غير نُجباء وحالهم كقول القائل: عجيب نجيب من نجيب"[١٠٢].

ويضيف عطية قائلاً: "ولأن المماليك طائفة معينة من بيئة حربية فقد أرادوا أن يبقوا أو يعيشوا، وكان لزاماً عليهم أن يخصصوا كميات كبيرة لشراء قوى جديدة تصل إلى ألفين أو ثلاثة آلاف عبد سنوياً"[١٠٣]، لأجل تزويد جيوشهم بعناصر بشرية شابة، وقد دفعهم إلى ذلك اعتباران: الأول ان مجتمع المماليك مجتمع مغلق لا يدخل اليه الّا عن طريق الرق[١٠٤]، والثاني ان سكان مصر من المدنيين غير مهيأين لحمل السلاح[١٠٥]. فضلاً عن الفتيان المخصصين للتدريب والانخراط في الجيش والتدرج فيه؛ عمد المماليك إلى استجلاب الفتيات لرغبتهم في تزويد قصورهم بالعنصر النسائي وتجديدهن من حين لآخر وسد حاجاتهم الاجتماعية والإنسانية[١٠٦] لذلك كانوا يوفدون عملاء لهم بحثاً عن عبيد من الجنسين[١٠٧] في كل الأمكنة التي يمكن الحصول عليهم فيها حتى في البلاد المسيحية، ثم يعتنقون الاسلام وان كانوا في أحيان كثيرة يفضلون الرقيق من الأقطار الإسلامية في أواسط آسيا[١٠٨] .

"وبعض هؤلاء المماليك كانوا يصلون إلى مراكز عليا. فالسلطان كتبغا[١٠٩] ([٦٩٤-٦٩٦هـ]/١٢٩٤-١٢٩٦) كان أسير حرب من منغوليا"[١١٠] قدم إلى مصر في موقعة حمص[١١١] عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م. ويؤكد ما ذهب إليه عطية ما أورده ابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) عن السطان كتبغا بقوله: "فإنه من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام [السلطان] الظاهر [بيبرس] بعد وقعة عين جالوت وكان من العويراتية وهم

طائفة من التتر" [١١٢]. كما ذكر عطية "ان لاجين[١١٣] ([٦٩٦-٦٩٨هـ]/١٢٩٦-١٢٩٨م) كان فارسًا في النظام التيوتوني[١١٤] وكان يحارب الوثنيين في ليفونيا حول أراضي البلطيق ، وبعدها أصبح صليبياً في سوريا، وهناك اعتنق الإسلام وانضم للمماليك"[١١٥]. ويبدو انه اعتمد في نصه على المصادر الأوروبية، التي أشارت الى ان لاجين كان فارساً ألمانياً[١١٦]، والفكرة التي تشير إلى ذلك ليست مؤكدة من قبل أي مصدر عربي وعلى الأرجح لا أساس لها من الصحة[١١٧]. وكل الذي ذكر عنه في المصادر العربية انه كان مملوكاً للسلطان "المنصور قلاوون اشتراه ورباه وأعتقه ورقّاه إلى أن جعله من جملة مماليكه"[١١٨].

"وقد شاركت معظم المدن التجارية الأوروبية بنشاط في تجارة الرقيق وفي مقدمتها جنوة"[١١٩]، "وكان الجنويون يمثلون الوكلاء الأوائل لبيع الرقيق الشباب لتعزيز جيش المماليك"[١٢٠]. وأغلب سكان مدينة جنوة تجار "مياسير يسافرون براً وبحراً ويقتحمون سهلاً ووعراً ولهم أسطول ومعرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية ولهم بين الروم عزة أنفس"[١٢١]، وكانت المستعمرتان كافا وتانا في جنوب روسيا خاضعتين لجنوة وكانت أعظم الأسواق لتجارة الأطفال المغول من ذكور وإناث[١٢٢]. ولا سيما مستعمرة كافا التي كان يتوجه اليها وكلاء سلاطين مصر لشراء الرقيق وكان البعض منهم يقيم فيها بصفة دائمة. وكان الجنويون[١٢٣] مضطرين للسماح للرقيق القاصدين مصر بأن يركبوا السفن في مينائهم كافا ولم يكن باستطاعتهم وضع العراقيل أمام وكلاء السلاطين مخافة أن يلحقوا الضرر بتجارتهم مع مصر وحتى لا يعرضوا محمياتهم للخطر والضياع. وتشددت السلطات الجنوية كثيراً في مراقبة هذه التجارة، فكان كل عبد يمر من هناك يخضع للاستجواب ويُسأل إن كان مسلماً أو مسيحياً، فإن كان مسيحياً أو رغب في التحول إلى الدين المسيحي اشتراه قنصل كافا واحتفظ به عنده ولا يسمح بالرحيل إلّا للرقيق المسلمين[١٢٤].

وذكر عطية: بأن آباء هؤلاء الرقيق "كانوا يقدمونهم للسوق بأنفسهم وهم يحلمون بأن يمنحوهم فرصة مستقبل لامع في مصر"[١٢٥]. فقد كان سوء المعيشة وغلاء الأسعار والفقر الذي يعيشه هؤلاء قد دفعهم لبيع أولادهم، فضلاً عن ما ذكره عطية وهو اعتقادهم بمنح أولادهم وبناتهم فرصة للعيش برخاء في مصر وهذا ما أكده المقريزي عن السلطان الناصر محمد بقوله: "... بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة، فأتاه من المماليك شيئ كثير رغبة فيما لديه حتى كان الأب يبيع ابنه للتاجر الذي يجلبه إلى

مصر"[١٢٦].وكانت البلدان المجاورة لضفاف البحر الأسود تعد من أهم مراكز تصدير الرقيق، وازدهرت تجارة الرقيق في تلك المناطق نظراً لزيادة نفوذ السلطنة المملوكية ولإنتشار الإسلام في سلطنة مغول القبجاق[١٢٧] إذ تم تبادل السفارات والهدايا بين صاحبها بركة خان[١٢٨] والسلطان الظاهر بيبرس[١٢٩] ، ومن حينها دأب وكلاء سلاطين مصر إلى التوجه إلى تلك الجهات من البحر الأسود لشراء الرقيق لتقوية جيش السلطنة[١٣٠]. فضلاً عن حالة الإضطرابات التي كانت تسود تلك البلاد نتيجة لصراع التتر مع القبائل غير المنضوية لسلطنة القبجاق كالروس والجركس وغيرهم جعلت من تجارة الرقيق مزدهرة باعتبار ان القبائل كانت تخطف أولاد التتر وتبيعهم كالعبيد[١٣١].

وأكمل عطية قوله: "زد على ذلك ان السلاطين كثيراً ما كانوا يضيفون الى ذخيرتهم من المماليك أسرى من بين الوثنيين والسكان المسيحيين في دول شرق أوروبا وكذلك من أسواق الأناضول"[١٣٢]. وهذا الذي بيناه في الصفحات السابقة عند حديثنا عن السلطان كتبغا الذي جيء به إلى مصر من منغوليا أسيراً في موقعة حمص. كما ذكر المقريزي عن السلطان الناصر محمد أنه لما عاد من مدينة الكرك[١٣٣] عند محاربته للفرنج في بلاد الشام؛ جلب معه إلى مصر الكثير من الأسرى من بلاد الأرمن وغيرها وأنزل مجموعة كبيرة منهم في قلعة الجبل[١٣٤]، ومجموعة أخرى في خزانة البنود[١٣٥] حتى امتلأت بهم، فعمرها لتصبح مساكناً لهم وبطلت من أن تكون سجناً[١٣٦].

وأضاف عطية: "وكانت قيمة العبد تتوقف على عمره وصحته"[١٣٧] او مصدر جلبه او وسامته إذا كانت فتاة[١٣٨]، "... فإن تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة[١٣٩]، لحسنها ولطف خلقها ... وجودة غنائها وضربها بالعود ولعبها بالشطرنج"[١٤٠]. واستطرد عطية بالقول:" وكان أخيرهم وأعلاهم سعراً هو العبد المغولي الذي يصل ثمنه ما بين ١٣٠ و ١٤٠ من الدوكات[١٤١] الذهبية"[١٤٢]، وذلك يعود إلى صفة التتر المميزة وهي اخلاصهم وتعلقهم بأسيادهم ولذلك كان مماليك مصر يقدرون هذه الصفة في أشخاص اختيروا لإمتهان حرفة السلاح[١٤٣]. ويكمل عطية في أسعار الرقيق قائلاً: "والقوقازي[١٤٤] من ١١٠ إلى ١٢٠ واليوناني نحو ٩٠ والألباني او الصربي أو السلوفاني من ٧٠ إلى ٨٠ " [١٤٥]. وكان تجار الرقيق ينعمون بميزتين: الأولى الحصول على أرباح طائلة، والثانية كسب عطف السلطان للخدمات التي يؤدونها للإسلام[١٤٦]. فذكر المقريزي: "... وكل واحد من التجار إذا باع على

السلطان رأساً واحداً من الرقيق فله خلعة مكملة بحسبه خارجاً عن الثمن وعما ينعم به عليه، أو يسفر به من مال السبيل على سبيل القرض ليتاجر به"[١٤٧].

واستطرد عطية بالقول: "وكان التجار من جنوة يمارسون هذا العمل المجزي متحدين بذلك الأوامر البابوية التي تحرمه"[١٤٨] ، "وظلوا يمارسونه تحت تهديد الطرد والحرمان"[١٤٩]. وقد أجاد عطية في التعامل بموضوعية مع هذه القضية (بيع الرقيق). فكانت المتاجره بالرقيق عامة والمسيحيين منهم بصفة خاصة مثار سخط ومعارضة البابوية في روما ،واتهم البابا يوحنا الثاني والعشرون[١٥٠] الجنويين بالمساعدة في زيادة قوة (المماليك) الكفار بحسب قوله عن طريق تزويدهم بالرقيق. ومن هؤلاء التجار شخص يدعى (نيكولو دي سان جورجيو) الذي حضر في عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م الى كافا بصفته بائع عبيد بالتجزئة ولسنا نعرف ما إذا كان هذا الشخص يؤدي عمليات تجارية في مصر. ولكن في أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي قام المواطن الجنوي (سغورانو سلفاجو) شخصياً بسَوق أرقاء من كلا الجنسين إلى سلطان مصر، وهناك مواطن آخر يُدعى (جنتيلي أمبريالي) قَبِلَ أن يتولى مهام السلطان في كافا لشراء الرقيق. ثم ان الكثير من الجنويين أسهموا بشكل غير مباشر في نقل الرقيق إلى مصر، وذلك بتأجير سفنهم لهذا الغرض لتجار الرقيق المسلمين[١٥١].

وذكر عطية قائلاً: "وأصدر البابا مارتن الخامس[١٥٢] أمراً عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م يدين به كل المشتركين في هذا العمل الشرير وعلى الرغم من ذلك فإن القوى الدنيوية كانت تعترف بل تشجع هذه التجارة المحرمة"[١٥٣]. إذ كان هناك مسيحيون ويهود يشترون في كافا وتانا وأماكن أخرى رقيقاً من الروس والشركس وغيرهم ويبيعونهم بسعر يبلغ عشرة أمثال ثمن الشراء للمسلمين في اسبانيا، واضطر هؤلاء الرقيق إلى ترك دينهم مما جعل البابا يعلن حرمان من يقوم بهذه التجارة الشائنة من رحمة الكنيسة. أما بخصوص اليهود فإنه أصدر مرسوماً يحكم على كل من يثبت اقترافه هذا العمل بأن يحمل علامة خاصة على ثيابه[١٥٤].

ويُلاحظ ان قسماً من الرقيق كان يبقى في جهات البحر الأسود ولا يرسل إلى مصر، ليبتاعهم رعايا المحميات الإيطالية في الشرق، وقد درج الايطاليون خلال اقامتهم في كافا وتانا وقبرص على حيازة الرقيق للقيام بخدمتهم ثم نقلوا هذه العادة إلى أوطانهم وشجعوا غيرهم على احضار الرقيق إلى منازلهم ليحلوا محل الخدم أو العمال الأُجراء. فلم يكن هناك حظر

في هذا الخصوص، ولم تكن تجارة الرقيق تسبب خزياً وعاراً؛ شرط الَّا يعقد التاجر صفقات في مصر[١٥٥].

من هذا نلاحظ ان البابوية لم تكن تحرم تجارة الرقيق تحريماً كلياً، فقد كانت جميع اداناتهم والحرمان الذي يعلنونه على التجار الأوروبيين من الكنيسة، يتعلق فقط بالتجارة في الرقيق المسيحيين والحث على عدم التجارة مع المماليك "المسلمين".

وأضاف عطية قائلاً: "وفي عام[٨٧١هـ]/١٤٦٦م منح الإمبراطور فردريك الثالث[١٥٦] ([٨٦٨-٩٣٢هـ]/١٤٦٣-١٥٢٥م) مدينة جنوة سلطة كاملة للاتجار في الرقيق من الجنسين"[١٥٧] . وأصبح التجار يأتون من جنوة وكافا ويصلون إلى قلب الامبراطورية الألمانية ومعهم رقيق من الجنسين. وتختلف أسعار بيع الرقيق في ايطاليا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عن القرن الخامس عشر الميلادي فكانت الأسعار ترتفع شيئاً فشيئاً ففي البندقية دفع ثمن سبعة وثمانون من الدوكات الذهبية بعبد روسي[١٥٨] أما في مصر فكانت أسعار المماليك متباينة ولاسيما بالنسبة للذين تدرجوا في مراتب الجيش ووصلوا الى مراكز مرموقة. فلقب الألفي الذي كان يحمله السلطان قلاوون يشير الى المبلغ الذي دفع به لدى شرائه وهو ألف دينار[١٥٩]. أما السلطان الظاهر بيبرس. فقد دُفِعَ به أربعون ديناراً فقط لوجود ندبة في عينيه[١٦٠].

وذكر عطية مستغرباً: "ومن العجيب أن نعرف ان بعض الوسطاء الذين كانوا يحملون الرقيق من أوروبا وآسيا الى مصر، كانو يستوردون الأرقاء المسلمين من شمال أفريقيا وآسيا إلى أوروبا المسيحية"[١٦١] وهذا أمر وارد وتؤكده المصادر الأوروبية. فقد كان يصل من هؤلاء الرقيق الى جنوة والبندقية المئات بل الألوف، ويصل أقل من هؤلاء الى بيزا وفلورنسا[١٦٢] ولوكا[١٦٣] وبرشلونة[١٦٤] ؛ لشدة تعلقهم بالبابوية واتباعهم لنصوص تحريمها[١٦٥]. ولم يكن الرقيق من التتار يجلبون إلى المدينة فرادى، بل يرد أحياناً أُسر كاملة منهم[١٦٦] .

ويمكن القول هنا أن ليس للباحث عطية أن يستغرب هذا الأمر، ذلك لأن المدن التجارية المسيحية ولا سيما جنوة والبندقية لم تكن تلتزم بالأوامر البابوية، ولم يكن همّها مع من تتعامل، فلا فرق لديهم إن تاجروا بالرقيق المسلمين أو المسيحيين، فلم يكن هذا همهم، إنما كان كل ما يرمون له هو جمع المال وبطرق شتى.

وأضاف عطية قائلاً: "وقد أشار [الرحالة] فيلكس فابري (١٤٤١-١٥٠٢م) رحالة القرن الخامس عشر الميلادي/[التاسع الهجري] المشهور إلى وجود زهاء ثلاثة آلاف من الأرقّاء المسلمين في البندقية وكانوا يستخدمون في تقذيف السفن الشراعية فيها"[١٦٧]، ذلك بالرغم من الضربة القاضية التي وجهها تيمورلنك[١٦٨] الى مستعمرة تانا عام ٧٩٨هـ/١٣٩٥م، ثم كان سقوط القسطنطينية عام ٨٠٧ هـ/١٤٥٣م في أيدي محمد الثاني[١٦٩](٨٤٨-٨٥٠هـ/١٤٤٤-١٤٤٦م) (٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م). وأخيراً حظر هذا السلطان على البنادقة نقل الرقيق المسلمين في كل انحاء امبراطوريته ولم يسمح بالمرور الا للرقيق المسيحيين، فأضرت هذه الأعمال بهذه التجارة، وفي عام ١٤٥٩م ارتفعت الشكوى في مجلس الشيوخ البندقي من نقص عدد الأرقاء فيها[١٧٠].

الخاتمة :

وختاماً وكما بيَّنَّا فإن هذه التجارة التي راجت كثيراً في العصر المملوكي والعصور التي سبقته هي محرمة من جانب الدين الاسلامي، الذي لم يبقِ منبعاً للرق سوى الأسر في الحروب وبرأي خليفة المسلمين، وقد استنكرت معظم المصادر العربية تُجار الرقيق لانهم لم يتعاملوا معهم وفق ما نصت عليه الشريعة الاسلامية. وان دلت ممارساتهم هذه على شيئ، فإنها تدل على مدى جشعهم وطمعهم في الحصول على الأموال التي اغدقها عليهم السلاطين المماليك. وقد أجاد عطية في تناوله تجارة الرقيق، ابتداءً من نشأة الدولة المملوكية. وبيّن ان الطرفين قد مارسا هذه التجارة سواء كانوا مسلمين او مسيحيين، وأشار الى انتشار هذه التجارة في البلاد الاسلامية والاوروبية على السواء. واعتمد في بعض ما طرحه على المصادر الأوروبية ولاسيَّما فيما يتعلق بتجارة جنوة والبندقية مع المماليك وما يتعلق بأسعار الرقيق والتحريمات البابوية ضد هذه التجارة.

Abstract

The slave trade between the Mamluks and the Europeans in the books of Aziz Suriel Attia - a critical historical study

Keywords: slaves, Mamluks, Attia

The research is extracted from a master's thesis

Doaa Rafi Abdul Abdul Khaleq Khamis Ali

Baghdad Directorate of Education/Al-Rusafa First University of Diyala/College of Education for Human Sciences

In our research entitled (The slave trade between Mamluks and Europeans in the books of Aziz Suriyal Attia - a critical historical study) we dealt with the meaning of slave language and idiom, how the Mamluk state was able to stand on the shoulders of these slaves brought from different places and nationalities, and about the role of European merchants in transporting them to Egypt. And because of the importance of this topic and its implications for the life of Mamluk society and the state, and the important historical events that accompanied that. Aziz Suriyal Attiyah wrote about him, explaining the emergence of the Mamluk state from these slaves, and the infamous trade that was taking place between the Mamluk sultans and European merchants to transport them to Egypt, which was in constant need of them.

الهوامش والمصادر

(١) لم أعثر على معلومات عن هذه القرية سوى انها تقع في محافظة الغربية بمصر.

(٢) محافظة الغربية: محافظة مصرية تقع في اقليم دلتا نهر النيل بين فرعي دمياط ورشيد اللذان يحيطان المحافظة شرقاً وغرباً، ويحدها من جهة الشمال محافظة كفر الشيخ، ويحدها من الجنوب محافظة المنوفية ويحدها من جهة الشرق محافظتي الدقهلية والقليوبية، ويحدها من جهة الغرب محافظة البحيرة. استُحدثت عام ١٩٦٠م ومركزها مدينة طنطا. الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنيت)، http://mawdoo3.com، موقع موضوع، خليف، سميحة ناصر ،محافظة الغربية ،تم الإقتباس من الموقع بتاريخ ٤ كانون الأول ٢٠١٩م.

(٣) قبطية: من القبط: وهم من ولد حام بن نوح، وكان سكناهم بديار مصر، وكانوا أهل ملك عظيم، وعز قديم، واختلط بالقبط طوائف كثيرة من اليونان والعماليق والروم وغيرهم، وانما صاروا اخلاطاً لكثرة من تداول عليهم وملك مصر، فإن أكثر من تملك مصر الغرباء، وكان القبط في سالف الدهر صابئة يعبدون الهياكل والأصنام، وكان منهم علماء بضروب من علم الفلسفة، ولطلسمات والمرايا المحرقة والكيمياء. وكانت دار ملكهم مدينة منف وهي على جانب النيل من غربيه، وكانت ملوكهم تلقب الفراعنة. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب

الملك المؤيد صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ط١(القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، د.ت) ، ج١، ص٨٢.

(٤) عبد الظاهر، حسام أحمد، المؤرخ المصري عزيز سوريال عطية ١٨٩٨ – ١٩٨٨م، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، ص٧.

(٥) عبد الظاهر، المؤرخ المصري عزيز سوريال عطية ، ص٧.

(٦) كانت مدة التعليم الإبتدائي بمصر حينذاك أربعة أعوام. أنظر: عبد الباقي، عبير حسن، طبقة الأفندية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت)،ص٢٢-٢٣.

(٧) المدرسة التوفيقية: مدرسة مصرية قديمة، ساهمت بتخريج الكثير من أعلام مصر، أُسست عام ١٨٨١م ، وتقع في حي شبرا بمدينة القاهرة، وكانت هذه المدرسة قصراً مملوكاً لأحد أكبر الأسماء في أسرة محمد علي الكبير التي حكمت مصر لنحو قرن ونصف القرن من الزمن .الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنيت) ، http://m.elwatannews.com\news\details\156392، جريدة الوطن ، منعم ، أحمد ، حكايات المباني الأوروبية التي تحولت لمدارس ومستشفيات ، تم الإقتباس من الموقع بتاريخ ٨ أيلول ٢٠١٩م .

(٨) الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنيت) ، www.abo-alhol.com ، جريدة أبو الهول السياحية، بدراوي، طارق، حكاية عزيز سوريال عطية مع التراث المصري والقبطي، تم الإقتباس من الموقع بتاريخ ٨ أيلول ٢٠١٩م .

(٩) عبد الظاهر، المؤرخ المصري عزيز سوريال عطية ، ص٧- ٨.

(١٠) عبد الظاهر ، المؤرخ المصري عزيز سوريال عطية ، ص٨.

(١١) المطيعي ، موسوعة هذا الرجل من مصر ، ص٣٢٦.

(١٢) جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية، قاموس التراجم القبطية ، (الاسكندرية : د.ت) ، ص١٠٧.

(١٣) عبد الظاهر، محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث ، ص١٣٠.

(١٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الافريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، ط٣(بيروت: دار صادر ، ١٤١٤هـ) ، ج١٠ ، ص١٢١.مادة: (رقق).

(١٥) الأزهري، ابو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١(بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ، ج٨، ص٢٣٠. مادة: (رق).

(١٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١٢٤. مادة: (رقق).

(١٧) الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (القاهرة: دار الهداية، د.ت)، ج٢٥، ص٣٥٧. مادة: (رقق).

(١٨) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(١٩) عطوان، عبد الله ناصح، نظام الرق في الإسلام، ط٥(بغداد: دار السلام ،٢٠٠٤م)،ص١٧؛ شفيق، أحمد، الرق في الإسلام ،ط١(القاهرة: دار طيبة للطباعة،٢٠١٠م)، ص٥٦.

(٢٠) العسيري، أحمد معمور ، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ قبل الاسلام) الى عصرنا الحاضر، ط١(الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ،١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ،ص٢٦٣ .

(٢١) المقريزي، السلوك، ج١ ، ص٤٤١؛ حسين ، حمدي عبد المنعم محمد، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١م)، ص ١٥٤ .

(٢٢) جزيرة الروضة: تقع في وسط النيل بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وعُرفت في أول الإسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر، ثم قيل لها جزيرة الحصن، وعُرفت إلى اليوم بالروضة. المقريزي، الخطط، ج٣ ،ص٣١٢ .

(٢٣) المقريزي، السلوك ، ج١ ، ص٤٤١ ؛ طقوش ، محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط١(بيروت: دار النفائس، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٢٦ .

(٢٤) قصد عطية المملوك عز الدين أيبك واسمه: أيبك بن عبد الله الصالحي الملك المعز عز الدين المعروف بالتركماني، كان مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه في حياة أبيه الكامل وتنقلت به الأحوال عنده، ورقاه في المناصب، واستطاع ايبك أن يعتلي عرش مصر بعد مقتل تورانشاه وتنحي شجر الدر عن السلطنة. وبدأت باعتلائه العرش دولة المماليك البحرية. الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢٦٤.

(٢٥) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٢٦) ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس يوحنا بن هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطوان صالحاني اليسوعي ، ط٣(بيروت : دار الشروق ، ١٩٩٢م) ، ص٢٥٩.

(٢٧) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٣ ، ص٢٥٧.

(٢٨) وذلك لأنه اطرح جانب امراء أبيه ومماليكه، وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نفر قلبه منه، واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه الى مصر، وكانوا أطرافاً أراذل، فاجتمعت المماليك البحرية على قتله. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٣ ، ص١٨١.

(٢٩) المصدر نفسه، ج٣ ،ص١٨١-١٨٢ .

(٣٠) المصدر نفسه، ج٣ ، ص١٨٣؛ العسيري، موجز التاريخ الاسلامي، ص٢٦٤.

(٣١) العسيري، موجز التاريخ الاسلامي، ص٢٦٤؛ طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٣.

(٣٢) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٣٣) بيشوب، موريس ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة: علي السيد علي ، ط١ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤م) ، ص٢٠٨ .

(٣٤) انظر ملحق رقم (٢): قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية وسنوات حكمهم؛ انظر ملحق رقم (٣): قائمة بأسماء سلاطين المماليك البرجية وسنوات حكمهم.

(٣٥) ورد عن المقريزي انه كان بالقاهرة سوقاً للرقيق نُقل من موضعه الى فندق تجاه المشهد الحسيني. وفيه كان يعرض الرجال والنساء للبيع، وأكثرهم كانوا عراة سوى قطعة من القماش تستر عوراتهم، ويقوم المشترون بفحص جميع أجزاء الجسم ليتأكدوا من سلامة أبدانهم، وكان يعرض فيه خليط من النساء التركيات واليونانيات واالجركسيات والجورجيات والحبشيات . السلوك ، ج٦، ص٤٦٤؛ فييت، جاستون، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفى العبادي، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٦٨م)، ص١٥٦-١٥٧.

(٣٦) فهمي، طرق التجارة ، ص٢٢٠ .

(٣٧) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٢م)، ص١٧.

(٣٨) الناصر محمد: الملك الناصر محمد بن قلاوون، ناصر الدين أبو الفتح محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون؛ ولد الملك الناصر سنة أربع وثمانين وستمائة ، وتوفي يوم الأربعاء التاسع عشر من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ودفن بالمدرسة المنصورية بين القصرين؛ وكان ملكاً عظيماً دانت له البلاد وملك الأطراف بالطاعة. ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م)، ج٤ ، ٣٥ .

(٣٩) أزبك: بضم الهمزة وفتح الباء ، أهل أُزبكستان ، المفرد أزبكي .عبد الرحيم ، المعجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ، ط١(دمشق : دار القلم ، ١٤٢٢هـ/٢٠١١م) ،ص٢٥ .

(٤٠) توريز (جورجيا حالياً): مدينة قديمة تقع في اذربيجان . ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ط١(أبو ظبي: المجمع الثقافي ، ١٤٢٢هـ) ،ج٣، ص١٩٨ .

(٤١) السلوك ، ج٣ ، ص٣٠٢.

(٤٢) أبو محمد بدر الدين بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك)، تحقيق:محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية مركز تحقيق التراث،٢٠٠٩م)، ج٢، ص٣٨٥.

(٤٣) الحروب الصليبية ، ص١٧١ .

(٤٤) اعتقد أمراء المماليك ان عرش البلاد حق لهم جميعاً يفوز به اقواهم واقدرهم على الإيقاع بالآخرين، وهو الأمر الذي تأكد منذ بداية الدولة سواء في مصرع أيبك وشجر الدر او في اغتيال بيبرس لقطز وهو عائد بنصره الكبير على المغول في عين جالوت . وهكذا تقرر منذ البداية مبدأ (الحكم لمن غلب) وقد أدى ذلك الى اعتماد السلاطين المماليك في حكمهم على قوة ذات جناحين : أحدهما يتمثل في القوة العسكرية للسلطان. وهي القوة التي يجسدها مماليكه ، ويتمثل الجناح الثاني في الواجهة الدينية التي حرص السلاطين على التخفي وراءها طوال ذلك العصر. قاسم ، قاسم عبده ،عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ،ط١(القاهرة: دار الشروق ،١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص١٠.

(٤٥) قلاوون: السلطان المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالي وأبو الفتوح الصالحي النجمي، اشتري بألف دينار ولذلك كان يقال له " الألفي" عمل في نيابة السلطنة للملك العادل سلامش ابن الظاهر بيبرس عندما خلعوا السعيد وحلفوا لسلامش وهو ابن سبع سنين، وفي رجب سنة ثمان وسبعين خلعوا العادل سلامش وبايعوا الملك المنصور قلاوون واستقل بالملك وامسك جماعة امراء الظاهرية واستعمل مماليكه على نيابة البلاد. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣،ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤٦) الأشرف خليل: هو السلطان الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ، جلس على تخت الملك يوم وفاة ابيه سنة تسع وثمانين وستمائة وهو السلطان الثامن من ملوك الترك واولادهم. ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد اله الظاهري الحنفي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة : دار الكتب ، د.ت)، ج٨ ، ص٣-٤.

(٤٧) عطية ، الحروب الصليبية ، ص١٧١.

(٤٨) الخطط ، ج٣ ، ص٣٧٣-٣٧٤.

(٤٩) الحروب الصليبية ، ص١٧١.

(٥٠) الخطط ، ج٣ ، ص٣٧٩.

(٥١) عقد الجمان، ج٢ ،ص٣٨٥.

(٥) أمراء الألوف: وعدة كل منهم مائة فارس، وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين؛ وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الأمراء على تقارب درجاتهم، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب. القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص١٤

(٦) طبلخاناه أو طبلخانات: طبول تضرب مع أبواق وآلات موسيقية أخرى فتسمع أصواتها عدة مرات في اليوم على أبواب السلاطين وأبواب اصحاب المناصب العالية ويقال احياناً: طبول خانات. وكثير من الأمراء لهم هذه الميزة ولذلك يطلق على كل واحد منهم لقب أمير طبلخاناه. وتحت امرة كل منهم أربعون أو ثمانون فارساً، وأصبحت الكلمة تدل على رتبة أمير الأربعين. دوزي، رنهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، نقله الى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، ط١(بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ٢٠٠٠م)، ج٧، ص٢٤.

(٥٤) كشاف: فرقة مكلفة بكشف أخبارالعدو. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط١(بيروت: دار الفكر المعاصر/دمشق: دار الفكر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ،ص١٢٨.

(٥٥) أجناد الحلقة: هم الجنود المرتزقة من غير مماليك السلطان ، ولكل أربعين جندياً يقدم عليهم واحد منهم ، ليس له حكم إلَّا إذا خرجوا إلى الحرب أو السفر فحينئذ يقودهم مقدمهم . المصدر نفسه ، ص١٢ .

(٥٦) برقوق: السلطان الظاهر ابو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي الجاركسي القائم بدولة الجراكسة بالديار المصرية والثاني من سلاطينها، ان كان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير جركسياً وان كان بيبرس تركي الجنس فبرقوق هذا هو الأول من سلاطين الجراكسة، جلس على تخت الملك سنة اربع وثمانين وسبعمائة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج١١، ص٢٢١ ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين ونبيل محمد عبد العزيز، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م)، ج٣، ص٢٨٥.

(٥٧) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٥٨) الخطط ، ج١ ، ص١٧٨.

(٥٩) النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧.

(٦٠) عطية، الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٦١) الخطط ، ج٣، ص٣٧٢.

(٦٢) حسين ، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص١٥٥

(٦٣) الرحبة: بإسكان الحاء وفتحها، وجمعها رحاب. هي الموضع المُتسع بين أفنية البيوت. ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،ط١(بيروت: دار الجيل ، ١٤١٢هـ) ،ج٢ ،ص٦٠٨ ؛ المقريزي ،الخطط ، ج٣، ص٨٩ .

(٦٤) الخطط، ج٣ ، ص٣٧٢.

(٦٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٢.

(٦٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٧٢.

(٦٧) الحروب الصليبية ، ص١٧١؛ انظر: المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص٣٧٦.

(٦٨) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ،المسالك والممالك ، (بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٤م) ،ص٢٨٨ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٣٨م) ، ج٢ ، ص٤٥٢.

(٦٩) فرغانة: بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل، من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق ، يقال كان بها اربعون منبراً ، وبينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، من ولايتها خجندة. ويقال فرغانة قرية من قرى فارس. ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٠٢٩.

(٧٠) سمرقند: بفتح أوله واسكان ثانيه بعده راء مهملة مفتوحة ثم قاف مفتوحة ثم نون ساكنة ودال مهملة: مدينة السغد معروفة غزاها شمر ملك من ملوك اليمن وهو شمر يهرعش بن افريقش فسميت شمر كند فعربت فقيل سمرقند، وهي من خراسان. البكري، معجم ما استعجم ج٣، ص٧٥٤-٧٥٥.

(٧١) بلاد الخزر: بالتحريك وآخره راء: وهي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند، قريب من سد ذي القرنين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٦٧. وذكر الجاحظ ان من هذه البلاد يجلب العبيد والإماء. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي(ت٢٥٥هـ/٨١٨م)، التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، ط٣(القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٢٨.

(٧٢) عطية، الحروب الصليبية، ص١٧١ .

(٧٣) القزويني، آثار البلاد، ص٥٣٠.

(٧٤) خوارزم: بضم أوله وبالراء المهملة المكسورة والزاي المعجمة بعدها: من بلاد خراسان، معروفة، البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٥١٥.

(٧٥) المقريزي، الخطط ،ج٣، ص٤٢٠ ؛ العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٤، ص٣٨.

(٧٦) السلاف: مجموعة عرقية تشمل الروس والبلغار والتشيك. يُقال اللغات السلافية والجنس السلافي. ف.عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية ،ص١٢٢ .

كان معظم الرقيق من الشعوب الوثنية السلافية، ولذلك اشتقت كلمة (slave) بمعنى (عبد) في اللغات الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية، واللغة العربية أيضاً من كلمة (Slav) بمعنى (سلافي) ،أي من سكان شرق أوروبا أو وسطها . وات، وليام مونتغمري، تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى ،ترجمة: سارة إبراهيم الذيب، مراجعة: سحاب الأحدب ،ط١(بيروت: جسور للترجمة والنشر، ٢٠١٦م)، ص٤٤.

(٧٧) السلفونيين: نسبة إلى سلوفينيا: تقع في وسط أوروبا يحدها كل من ايطاليا غرباً، النمسا شمالاً، كرواتيا شرقاً وجنوباً. الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنيت)، www.marefa.org ، المعرفة، سلوفينيا، تم الاقتباس من الموقع بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠٢٠.

(٧٨) الألبانيين: نسبة إلى ألبانيا: قطر جبلي يقع في القسم الجنوبي الشرقي من قارة أوروبا. المصدر نفسه، تم الاقتباس من الموقع بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠٢٠ .

(٧٩) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٨٠) الحميري، الروض المعطار،ص ٥٠.

(٨١) النويري الإسكندراني، الإلمام بالأعلام، ج٤ ،ص٧ .

(٨٢) جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١(القاهرة: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ج٢ ، ص٣٢٧.

(٢) انظر: الفصل الثاني ص٧٠-٨٠.

(٨٤) الحروب الصليبية ، ص١٧١.

(٨٥) عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٨.

(٨٦) الأشرف برسباي: هو السلطان الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري سلطان الديار المصرية، جلس على تخت الملك يوم خلع الملك الصالح محمد ابن السلطان الظاهر ططر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. والأشرف هذا هو السلطان الثاني والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية والثامن من الجراكسه واولادهم. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٤٢.

(٨٧) يلبغا السالمي: يلبغا ابو المعالي السالمي الظاهري برقوق الحنفي، كان يذكر انه سمرقندي سماه أبواه يوسف، وسبي فجلب الى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه ثم اشتراه السلطان الظاهر برقوق فحظي بمكانة كبيرة عنده، وعرف عنه ميوله الى طريق الصوفية والمبالغة في تعظيمهم وحبهم .السخاوي، الضوء اللامع،ج١٠، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٨٨) المقريزي، الخطط، ج٤ ، ص٨٢.

(٢) آقسنقر: علاء الدين آقسنقر الساقي العادلي، أحد مماليك الملك العادل أبي بكر بن أيوب. المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٢٢.

(٩٠) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ط١(القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ)، ج٣، ص١٣١.

(٩١) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٩٢) الشيخ خلف: ويعرف بـ (خلف الطوخي) وهو من الأشخاص المُقربين من السلطان الظاهر برقوق كان يُحبه ويعتقده. إبن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ج١،ص١٩٤.

(٩٣) العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١ ، ص٣١٣ .

(٩٤) باب زويلة: نسبة إلى زويلة: قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر الصقلي من المغرب حين دخوله مصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م. وباب زويلة في الأصل بابان متلاصقان لمدينة القاهرة من جهتها القِبلية .وأما باب زويلة في العصر المملوكي فقد بناها الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الدين الجمالي وكتب عليها تاريخه واسمه.القلقشندي ،صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩٧ ؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٤ ،ص٣٩ .

(٩٥) الخطط، ج٣ ، ص٣٣٠.

(٩٦) الحروب الصليبية، ص١٧١.

(٩٧) المقريزي، الخطط،ج٣، ص٣٧٢.

(٩٨) كان معظم السلاطين المماليك ولا سيما سلاطين دولة المماليك البرجية، يتظاهرون بالصلاح والتقوى، الا اننا لو نظرنا الى اصولهم لوجدناهم من المماليك الأجلاب "سيئة الصيت" الذين وصفهم المقريزي بقوله: " ... وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسَّهم قدراً، وأشحهم نفساً، وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضاً عن الدين...". فمثلاً كان معروفاً على السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) صاحب المسجد المؤيدي المشهور في القاهرة على انه كان متديناً، وفي نص ذكره المقريزي، يُظهر فيه شخصية المؤيد شيخ المتناقضة بين التقوى والفجور فذكر: "... وله قيام في الليل الى التهجد أحياناً. الا انه كان بخيلاً مسيكاً يشح حتى بالأكل... يتظاهر بأنواع المنكرات فحّاشاً سباباً..." وهذا يدل على ان السلاطين المماليك قد اتخذوا من الدين وسيلة للتقرب من العامة لا غير. الخطط ، ج٣، ص٣٧٣؛ السلوك، ج٧، ص٢٧.

(٩٩) التكايا: وهي دور مخصصة للصوفية يقيمون بها لايغادرونها، يتفرغون فيها للعبادة والتأمل. قلعجي وقنيبي، محمد رواس وجمال صادق ،معجم لغة الفقهاء، ط٢(بيروت: دار النفائس ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٢١٩.

(١٠٠) المظفر حاجي: هو السلطان المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون ،تولى السلطنة بعد مسك أخيه الكامل شعبان، ولقب بالمظفر. جلس على تخت السلطنة في يوم الإثنين، مستهل جمادى الآخرة عام سبعة وأربعين وسبعمائة. واستمر في سلطنته إلى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، الجوهر الثمين

في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: أحمد السيد دراج ،(مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٨٢م) ،ص٣٨٣ .

(١٠١) المقريزي، السلوك ،ج٣ ،ص٣٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج١٠ ،ص١٣٤،١٧٤.

(١٠٢) النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧٤

(١٠٣) الحروب الصليبية، ص١٧١-١٧٢.

(١٠٤) الخادم، سمير علي، الشرق الاسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الايطالية وشرقي البحر المتوسط، ط١(بيروت: مؤسسة دار الريحاني، ١٩٨٩م) ؛عوض الله، الأمين محمد، أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠١٤م)، ص٣٦.

(١٠٥) آشتور، ستراوس، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة: عبد الهادي عبلة، مراجعة: أحمد غسان سبانو، (دمشق: دار قتيبة ، ١٩٨٥م) ، ص٣٧٠.

(١٠٦) فهمي، طرق التجارة، ٢٢٠؛ الخادم، الشرق الاسلامي، ص٣٥٢.

(١٠٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦ ، ص١٥؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٥-١٩٩٤م)، ج٤ ، ص٥١.

(١٠٨) فهمي ، طرق التجارة ، ص٢٢٠.

(١٠٩) السلطان كتبغا: ركن الدين كتبغا التركي والمغلي المنصوري تسلطن في الحادي عشر من محرم سنة أربع وتسعين وستمائة وتسمى بالملك العادل وحلف له الأمراء بمصر والشام، وزُينت له البلاد ودقت البشائر وله نحو خمسين سنة . الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ج٥٢، ص٣٤.

(١١٠) عطية، الحروب الصليبية، ص١٧١.

(١١١) موقعة حمص: هي المعركة التي وقعت بين المغول وبين القوات التي يقودها صاحب حمص الملك الأشرف موسى شيركوه في الخامس من محرم عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م في عهد السلطان الظاهر بيبرس وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين بالرغم من التفوق العددي للجيش المغولي الذي بلغ ستة آلاف مقاتل مقابل ألف وأربعمائة من المسلمين .المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٢٥ .

(١١٢) أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١(بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١٣، ص٣٩٩.

(١١٣) لاجين: السلطان المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري تسلطن بعد خلع السلطان العادل كتبغا في محرم سنة ست وتسعين وستمائة وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الترك بالديار

المصرية. ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م)، ج٢، ص٥١.

(١١٤) النظام التيوتوني: من الجماعات الرهبانية العسكرية التي جمعت بين الدين والحرب في مبادئها وهي وليدة لظروف المجتمع الصليبي الناشئ ونتيجة لاحتياجاته. واتسمت جماعة الفرسان التيوتون بانتشارها الواسع والصفة الدولية التي اتسمت بها ودورها في نشر المسيحية على شاطئ بحر البلطيق، هذا الى جانب ما امتلكته من ثروات ذلك المعين الذي لا ينضب من الرجال الذين كرسوا أنفسهم لخدمة أهدافها الخاصة في المراحل الأولى من نشأتها. حسين، حسن عبد الوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م) ،ص٥٨ –٦٠.

(١١٥) الحروب الصليبية، ص١٧٢ .

(١١٦) آشتور، التاريخ الإقتصادي، ص٣٧١ .

(١١٧) لين – بول ، ستانلي، تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة وتحقيق: أحمد سالم سالم ،ط٢(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠١٥م)، ص٥٣٧ حاشية رقم (٢).

(١١٨) النويري، نهاية الإرب، ج٣١، ص٣١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢٤، ص٢٩٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ ، ص٨٥ .

(١١٩) عطية ، الحروب الصليبية ، ص١٧٢ .

(120) Atiya , the Crusde in the later Middle ages, p.8.

(١٢١) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الطالبي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١(بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ)، ج٢، ص٧٥٠ .

(١٢٢) عطية، الحروب الصليبية، ص١٧٢.

(١٢٣) وصف بنيامين التطيلي في رحلته تجار مدينة جنوة بأنهم مسيطرون على البحار. يجوبونها بسفنهم الخاصة المسماة "غاليس" ويقومون بأعمال القرصنة على الروم والمسلمين ويعودون الى جنوة بالأسلاب والغنائم الوفيرة. الرحلة، ص١٩٢.

(١٢٤) هايد، تاريخ التجارة، ج٤، ص٥٣ .

(١٢٥) الحروب الصليبية ، ص١٧٢ .

(١٢٦) الخطط ، ج٣ ، ص٣٧٤ .

(١٢٧) القبجاق: بلاد واقعة في الشمال، آخذة إلى المشرق ،يحدها أطراف الصين من شرقها ،وبلاد الصقلب وما يليها من شمالها، وتحدها بلاد خراسان من جنوبها ،وغربها الخليج القاطع من بحر الروم على القرم. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٢٧ .

(١٢٨) بركة خان: بركة بن توشي بن جنكيز خان ملك القبجاق، مملكته متسعة أكثرها براري ومروج، وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم واصبح يميل للمسلمين ويُعظم العلماء والصالحين، توفي عام خمسة وستين وستمائة. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٤٩-٣٥٠.

(١٢٩) الظاهر بيبرس: ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي تسلطن بعد قتل المظفر قطز في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة .كان تركي الجنس أخذ من بلاده وبيع بدمشق للعماد الصائغ ثم اشتراه منه الأمير علاء الدين البندقداري وبه عرف بالبندقداري، ثم لما صادر الملك الصالح علاء الدين البندقداري أخذ بيبرس هذا في جملة ما أخذه وجعله من جملة مماليكه البحرية، ولا يزال بيبرس يترقى والأقدار تساعده إلى أن ملك مصر بعد أمور وقعت له ومحن ولقب بالظاهر بيبرس. ابن تغري بردي، مورد اللطافة،ج٢ ،ص٣٣.

(١٣٠) كان التجار المترددين إلى بلاد القبجاق في عهد الظاهر بيبرس يحملون معهم تواقيعه وتشمل اعفائهم من ضرائب الصادر والوارد، ويحملونها معهم أينما حَلّوا من مملكة بركة خان ومنكوتمر ابنه، وبلاد فارس وكرمان. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج٧، ص١٨٢ .

(١٣١) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٨٥؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤،ص٣٨؛ الخادم، الشرق الإسلامي، ص٣٥٣.

(١٣٢) الحروب الصليبية، ص ١٧٢.

(١٣٣) الكرك: بفتحتين، قلعة حصينة جداً في طرف الشام، من نواحي البلقاء (غرب الأردن) تقع على جبل عال. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١١٥٩.

(١٣٤) قلعة الجبل: بناها قراقوش بهاء الدين ابو سعيد للسلطان صلاح الدين الأيوبي على نشز عال يسمى الجبل الأحمر من تقاطيع جبل المقطم. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٧٨ .

(١٣٥) خزانة البنود: تقع في القاهرة وهي في العصر المملوكي زقاق يعرف بخط خزانة البنود، وكانت اولاً في الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح، يقال ان الخليفة الفاطمي الظاهر بن الحاكم أمر بها، ثم انها احترقت في عام واحد وستين واربعمائة، فعملت بعد حريقها سجناً يسجن فيه الأمراء والأعيان إلى زوال الدولة فأقرّها ملوك بني أيوب سجناً، ثم عملت منزلاً للأسرى الفرنج يسكنون فيها بأهاليهم وأولادهم في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون فلم يزالوا بها إلى ان هدمها نائب السلطنة بمصر عام أربع وأربعين وسبعمائة فاختط الناس موضعها دوراً. المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٢٩ ؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة ،ج٤،ص٤٧ ، ج١٠ ،ص٨٨ .

(١٣٦) المقريزي، السلوك، ج٣،ص٣٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣١٨-٣١٩ .

(١٣٧) الحروب الصليبية، ص١٧٢ .

(١٣٨) فهمي، طرق التجارة، ص٢٢٤ .

(١٣٩) تنكة: اسم نقد فارسي وزنها ديناران ونصف الدينار من دنانير المغرب. ابن بطوطة، الرحلة، ج١،ص٣٦٤؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص٦٩.

(١٤٠) المقريزي، الخطط ، ج٣، ص٣٠٩-٣١٠.

(١٤١) الدوكات: دوكات جمع دوكا وهو نقد ذهبي في مدينة البندقية قديماً. دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٤، ص٤٤٧.

(١٤٢) الحروب الصليبية، ص ١٧٢ .

(١٤٣) الخادم، الشرق الاسلامي ، ص٣٥٦ .

(١٤٤) القوقازي: نسبة إلى بلاد القوقاز أو بلاد قبق : بفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره أيضاً قاف ، كلمة عجمية: وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان، وهو آخر حدود إرمينيا، وجبل القبق فيه اثنان وسبعون لساناً لا يعرف كل انسان لغة صاحبه إلّا بترجمان، وهو متصل ببلاد الروم إلى حد الخزر واللان. ابن الفقيه الهمذاني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق(ت نحو ٣٤٠هـ/٩٥١م)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١(بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٦ .

(١٤٥) الحروب الصليبية، ص١٧٢؛ انظر: هايد، تاريخ التجارة، ج٤ ، ص٥٥ .

(١٤٦) هايد، تاريخ التجارة، ج٤، ص٥٥ .

(١٤٧) الخطط ،ج٣، ص٣٩٧.

(١٤٨) الحروب الصليبية ، ص١٧٢ .

(149) Atiya , the crusde in the later middle ages ,p.8

(١٥٠) يوحنا الثاني والعشرون(١٣١٦-١٣٣٤م): بابا الكنيسة الكاثوليكية، ولد في كوهور من أعمال جنوبي فرنسا وكان أبوه اسكافًا، وهي المرة الثانية التي يختار فيها ابن اسكاف الى اعلى منصب في العالم المسيحي وكانت عاداته الشخصية تنزاع الى التقشف والزهد، أنشأ كلية لدراسة اللغات اللاتينية في إرمينيا وشجع دراسة اللغات الشرقية، توفي عام ١٣٣٤م وله من العمر تسعين عاماً. ديورانت، قصة الحضارة ،ج١٨، ص٩٢-٩٤.

(١٥١) هايد، تاريخ التجارة، ج٤ ، ص٥٤؛ Dela B, Voyage d,outré-mer, ed. Schefer,Paris,1892,p.510. نقلاً عن سمير علي الخادم،الشرق الاسلامي، ص٣٥٥.

(١٥٢) مارتن الخامس (١٣٦٨-١٤٣١م): الكردنال ادوني كولنا من أهل روما ،اختارته لجنة المجلس الانتخابية لمنصب البابوية وارتضاه العالم المسيحي بأجمعه وقضي بانتخابه على الانشقاق المسيحي الأعظم بعد فوضى دامت تسعا وثلاثين عاما. ديورانت، قصة الحضارة، ج٢٠ ، ص١٣ .

(١٥٣) الحروب الصليبية ، ص١٧٢ .

(١٥٤) هايد ، تاريخ التجارة ، ج٤ ، ص٥٤-٥٥.

(١٥٥) هايد ، تاريخ التجارة ، ج٤ ، ص٥٥-٥٦.

(١٥٦) فردريك الثالث: ولد فردريك الثالث في ولاية انسبروك النمساوية، أصبح دوق النمسا الداخية بعد وفاة والده عام ١٤٢٤م ولقب بفردريك الخامس. وفي عام ١٤٤٠ م تم تنصيبه ملكاً على ألمانيا وتغير لقبه الى فردريك الرابع، وأخيراً وفي عام ١٤٥٢ أعلنه البابا نيكولاس الخامس امبراطوراً لروما المقدسة وتغير لقبه الى فردريك الثالث، وفي عام ١٤٤٢م قام بالتحالف مع رودلف ستوسي ضد الاتحاد السويسري القديم الذي كان يمثل اتحاداً من عدة دول صغيرة مستقلة تسمى كانتوات تتحكم بها الحكومة الفرنسية. الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت)، a.rwikipedia.org\wi ، ويكيبيديا، فردريك الثالث، تم الاقتباس من الموقع بتاريخ ١٤ كانون الأول ٢٠١٩م .

(١٥٧) الحروب الصليبية ، ص١٧٢ .

(١٥٨) هايد ، تاريخ التجارة ،ج٤ ، ص٥٨ ؛ الخادم ، الشرق الإسلامي ، ص٣٥٩ .

(١٥٩) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،ج٣ ،ص٢٠٣ ؛الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢٤، ص٢٠٠ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ٤٩٩ ؛ ابن تغري بردي ، مورد اللطافة ،ج٢،ص٣٨ .

(١٦٠) الخادم ، الشرق الاسلامي ، ص٣٦٠ .

(١٦١) الحروب الصليبية ، ص ١٧٢ .

(١٦٢) فلورنسا: مدينة عامرة الأسواق على ضفة الجبل وعلى مقربة من نهر بيش. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢ ، ص٧٥٤ .

(١٦٣) لوكا: وهي مدينة قديمة أزلية عجيبة البناء قائمة الأشكال عامرة الأسواق نافقة المصنوعات. المصدر نفسه، ج٢، ص٧٥٤ .

(١٦٤) برشلونة: مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلا، وبرشلونة على البحر ومرساها ترش لا تدخله الماركب الّا عن معرفة ،ولها ربض وعليها سور منيع ،والدخول اليها والخروج عنها الى الاندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة ،وبرشلونة قاعدة لملك الافرنجة بشرق الأندلس وهي دار ملكهم وله مراكب تسافر وتغزو .وللافرنج شوكة لاتطاق، وبرشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل، واليهود بها يعدلون النصارى كثرة وربضها خارج عنها ، وهي في القسم الثالث من الأندلس ،مسورة كبيرة. الحميري، الروض المعطار ، ص٨٦-٨٧.

(١٦٥) هايد ، تاريخ التجارة ، ج٤ ، ص٥٧؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٢٣.

(١٦٦) هايد ، تاريخ التجارة ، ج٤ ، ص٥٧ .

(١٦٧) الحروب الصليبية ، ص١٧٣ ؛ انظر: هايد ، تاريخ التجارة ، ج٤ ، ص٥٩ .

(١٦٨) تيمورلنك: هو تمرلنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج ؛ وهو اللنك بلغتهم ، فعرف بتمر اللنك ثم خفف فقيل تمرلنك وكان ابتداء ملكه انه لما انقرضت دولة بني جنكيز خان ظهر تيمور في أعقاب بني

حفظاي بين كش وسمرقند، وتغلب على ملكهم محمود ، واستطاع شيئاً فشيئاً ان يمد سيطرته على المشرق الإسلامي بأكمله وعلى العراق وبلاد الشام. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣ ، ص٤٦ .

(١٦٩) محمد الثاني: محمد بن مراد بك بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان. سلطان الدولة العثمانية الذي صار كرسي مملكته القسطنطينية بعد فتحه لها واقتلاعه اياها من الفرنج ويعرف كسلفه بإبن عثمان. استقر في المملكة بعد أبيه في سنة خمس وخمسين، كـــــان ملكاً عظيماً اقتفاثر أبيه في المثابرة على دفع الفرنج، وله مآثر كثيرة من مدارس وزوايا وجوامع، مات في أوائل عام ستة وثمانين في توجهه من اسطنبول لجهة برصا ودفن بالبرية هناك ثم= =حول الى اسطنبول في ضريح قرب اجل جوامعه بها. السخاوي، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص٤٧ .

(١٧٠) هايد، تاريخ التجارة ، ج٤ ، ص٥٩ .